# شيعة العراق

اسحق نقّاش

ترجمة : عبد الاله النعيمي

# شيعة العراق

منشورات

| ٨ | المدى | دراسات |
|---|---|---|

اسم الكتاب : شيعة العراق
المؤلف : اسحق نقاش
المترجم : عبد الاله النعيمي
الناشر : دار المدى للثقافة والنشر
الطبعة العربية الأولى ١٩٩٦
الحقوق محفوظة : ©: 1994 Princeton University Press
THE SHI'IS OF IRAQ by Yitzhak Nakash
تصميم : محمد سعيد الصكار - باريس
اللوغو : صادق الصائغ

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
تلفون : ٧٧٧٢٠١٩ - ٧٧٧٦٨٦٤ - فاكس : ٧٧٧٣٩٩٢
بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

Publishing Company F.K.A.
Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025
Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366
P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611- 426252

فهو عربي في نزعته
ومسلم في دعوته
وجعفري في مذهبه .
يريد العروبة للاسلام
والاسلام للوحدة
والمذهب للهداية .

علي الخاقاني ، شعراء الغري أو النجفيات ، الطبعة الثانية ، ١٢جزءاً (قم ، ١٩٨٨) ٥ :٥٠٦

# المحتويات


مدخل خاص بمناسبة الطبعة العربية ..... ١١

الاختصارات ..... ١٣

مدخل ..... ١٧

الجزء الأول

## السنوات التكوينية

الفصل الأول : تكوين المجتمع الشيعي العراقي ..... ٣١

الفصل الثاني : سنوات الغليان ..... ٩٧

الجزء الثاني

## الدولة والشيعة

الفصل الثالث : ممارسة السيطرة الاجتماعية ..... ١٤٥

الفصل الرابع : البحث عن التمثيل السياسي ..... ٢٠٥

## الجزء الثالث
# تحوُّل الطقوس والممارسات الدينية

الفصل الخامس : إحياء ذكرى عاشوراء ..... ٢٥٩
الفصل السادس : زيارة مدن العتبات المقدسة وعبادة الأولياء ..... ٣٠١
الفصل السابع : حركة الجنائز ..... ٣٤١

## الجزء الرابع
# تدهور المؤسسات المالية والثقافية

الفصل الثامن : أموال الشيعة ومدن العتبات المقدسة ..... ٣٧٧
الفصل التاسع : المدرسة الشيعية في العراق ..... ٤٣٥

خلاصة ..... ٤٩٣

خاتمة : حرب الخليج وآثارها ..... ٥٠١

الملحق رقم(١) : دستور حيّ البراق في النجف ..... ٥١٥

الملحق رقم(٢) : العتبات والأضرحة والأماكن المقدسة الشيعية الهامة في العراق ..... ٥١٧

الملحق رقم(٣) : أماكن الدفن المقدسة الشيعية ..... ٥٢١

المراجع ..... ٥٢٣

فهرس عام ..... ٥٥٦

# مدخل خاص بمناسبة
# الطبعة العربية

انه لمن دواعي سروري ان أرى الترجمة العربية لكتابي «شيعة العراق» . لقد نما اهتمامي بالكتابة عن الشيعة في العراق أثناء الحرب العراقية ـ الايرانية ١٩٨٠ـ١٩٨٨ ، حين تملكتني ، شأن المراقبين الاخرين ، الحيرة وأنا أرى ضراوة القتال الناشب بين شيعة ايران ، ونظرائهم في المذهب في العراق الذين كان يقال انهم يشكلون غالبية مراتب جنود صف مشاة الجيش العراقي . ولما بدأت ادرس المذهب الشيعي عن كثب ، أثير اهتمامي بالدور الذي تلعبه الثقافة والمجتمع والدولة في صوغ انماط متباينة من التطور الديني والسياسي وسط الشيعة .

ولقد وضعت هذا الكتاب بصفتي مؤرخاً ومراقباً ، ساعياً ، على خير وجه ممكن ، الى استخلاص المعنى من المصادر والقرائن التي توفرت عليها . ان فهمي وتفسيراتي للتشيُّع العراقي المعاصر تشكل محاولة للتعلم من التفاعل الجاري بين الاحداث والتيارات الكبرى ، وبنية المجتمع ، وخيارات الناس العاديين ؛ ولم أكن مهتماً بتسلسل الاحداث فحسب ، بل كنت معنياً ايضا بدوافع الناس ، وانماط الفكر ، والمعنى الرمزي الذي ينسبونه الى السلطة . وسعيت لأن اغطي مجالاً واسعاً من النشاطات الشيعية في الميادين الثقافية والدينية ، والاجتماعية ـ الاقتصادية والسياسية ، ابتغاء ادراك كيف يفكر الناس ، وكيف يشعرون ، وكيف

يؤمنون ، وكيف ينظمون انفسهم ، وكيف يتفاعلون فيما بينهم ومع الجماعات الاخرى ، وكيف ينظرون الى الدولة ـ القومية* الحديثة .

ان الطبعة العربية الراهنة تمثل ، باستثناء بعض التعديلات الاسلوبية الطفيفة وبعض التصحيحات الصغيرة والقليلة ، تمثيلاً دقيقاً الاصل الانجليزي المنشور في مطلع عام ١٩٩٤ . وان الاستنتاجات التي توصلت اليها تعكس ادراكي الخاص للتشيع العراقي المعاصر ؛ وبالطبع فإن القراء ، على اختلاف مشاربهم ، قد يتملكهم رد فعل مغاير تجاه هذه الاستنتاجات ، استنادا الى تجاربهم الخاصة ونظرتهم المغايرة . مع ذلك أمل أن يجد سائر القراء في مادة الكتاب وفي التفسيرات التي ينطوي عليها شيئاً جديداً يستحق المزيد من التأمل والبحث العلمي .

**اسحق نقاش**

١ آب (أغسطس) ١٩٩٥

* الدولة ـ القومية ، بمعنى الدولة المركزية الحديثة . (المترجم)

# الاختصارات

| | |
|---|---|
| AAS | *Asian and African Studies* |
| AHR | *The American Historical Review* |
| AJES | *The American Journal of Economics and Sociology* |
| AM | *The Atlantic Monthly* |
| ASQ | *Arab Studies Quarterly* |
| BHCF | *Baghdad High Commission File, The National Archives of India, New Delhi* |
| BOUIES | *Bulletin of the Oxford University, Institute of Economics and Statistics* |
| BSMESB | *British Society for Middle Eastern Studies Bulletin* |
| BSOAS | *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* |
| CO | *Colonial Office, The Public Record Office, London* |
| EDCC | *Economic Development and Cultural Change* |
| FO | *Foreign Office, The Public Record Office, London* |
| HR | *History of Religions* |
| IC | *Islamic Culture* |
| IJMES | *International Journal of Middle East Studies* |

| | |
|---|---|
| IO | *India Office, London* |
| IS | *Iranian Studies* |
| ISE | *Islamic Shi'ite Encyclopedia (Beirut)* |
| Isl | *Der Islam* |
| JNES | *Journal of Near Eastern Studies* |
| JRCAS | *Journal of the Royal Central Asia Society* |
| MEJ | *The Middle East Journal* |
| MES | *Middle Eastern Studies* |
| MW | *The Moslem (Muslim) World* |
| NAI | *The National Archives of India, New Delhi* |
| PP | *Past and Present* |
| RAF | *The Royal Air Force, The Public Record Office, London* |
| SA | *South Asia* |
| SH | *Social History* |
| SI | *Studia Islamica* |
| USNA | *The U. S. National Archives, Washington, D. C.* |
| WI | *Die Welt Des Islams* |
| ZDMG | *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* |

# شيعة العراق

# مدخل

ان معرفتنا المكتسبة بالتلقي عن المذهب الشيعي الحديث ، مستقاة بالدرجة الرئيسية من العدد الكبير من الدراسات التي تبحث في الاسلام الشيعي الايراني والمجتمع الايراني . وفي حين ان هذه الدراسات تسلط ضوءاً هاماً على المذهب الشيعي الايراني فانها أثرت أيضاً في فهمنا لطبيعة الاسلام الشيعي عموماً ، الذي أصبح متماهياً بالثقافة الايرانية والقيم الاجتماعية الايرانية . كما أن الميل الى اغفال الخصائص الفريدة للشيعة العرب ، وخاصة في بلد بأهمية العراق ، يمكن أن يعزى الى ضالة عدد الدراسات التي تعالج المجتمع الشيعي العراقي ومدن العتبات المقدسة . والحق ان المرء لا يستطيع أن يتلمس وجود مجهود هام لتحديد السمات المميزة للمذهب الشيعي العراقي الا بعد اندلاع الحرب الايرانية - العراقية في السنوات ١٩٨٠-١٩٨٨ ؛ وخاصة مابذله حنا بطاطو (Batatu) وعباس الكليدار (Kelidar) ولويزار (Luizard) وليتفاك (Litvak) ووايلي (Wiley)[1] . ولكن كفة الأدبيات الخاصة بالمذهب الشيعي كانت عموماً تميل نحو ايران ، تاركة ثغرات هامة تتعلق بعملية تكوين المجتمع الشيعي العراقي الحديث ، والقيم الثقافية والاجتماعية المميزة للشيعة العراقيين ، والأنماط المختلفة من الشكل الشعائري والتنظيمي الذي اكتسبه الاسلام

الشيعي في العراق وايران . ونتيجة لذلك نزع مراقبو الشرق الأوسط الى عدم تقدير التطور الديني والسياسي المختلف للشيعة العراقيين والشيعة الايرانيين ، وصدى افتراق تاريخ الجماعتين في القرن العشرين .

يوفر هذا الكتاب تصويباً لبعض الافتراضات الشائعة حول طبيعة الاسلام الشيعي في العراق ، وفي مقدمتها الاعتقاد القائل بأن المجتمع الشيعي العراقي تكوَّن منذ زمن بعيد ، وان المذهب الشيعي العراقي مصاغ وفق النموذج الايراني . وتركز الدراسة على شيعة العراق خلال فترة من التغيير الواسع ، بدءاً بصعود النجف وكربلاء بوصفهما معقلي المذهب الشيعي منذ منتصف القرن الثامن عشر وحتى سقوط الملكية العراقية في عام ١٩٥٨ . وسنة ١٩٥٨ هي نقطة الانقطاع لا بسبب تغيير نظام الحكم فحسب بل وكذلك بسبب المادة المصدرية والقضايا المختلفة التي يمكن تقصيها بصورة مثمرة منذ ذلك الحين . ومع ذلك سأعطي مفاتيح وكذلك خاتمة عن حرب الخليج وآثارها ، لتوضيح تطلعات الشيعة وموقع الاسلام الشيعي في العراق الحديث .

تُعنى الدراسة بالمسائل الهامة التالية : كيف تكوَّن المجتمع الشيعي العراقي وفي أي فترة ؟ ماهو الأثر الناجم عن ظهور الدولة الحديثة على وضع القيادة والطبقات الشيعية العراقية ، وعلى الموقع الاقتصادي - الاجتماعي والسياسي لمدن العتبات المقدسة ازاء بغداد ؟ ماهي التطلعات السياسية الأساسية لشيعة العراق ؟ ماهي الاختلافات الأساسية بين المعتقدات الثقافية الذاتية والقيم الاجتماعية للشيعة العراقيين والايرانيين كما تتبدى في شعائرهم وممارساتهم الدينية ؟ ماهي المناحي التي يختلف فيها الاسلام الشيعي العراقي والاسلام الشيعي الايراني في أشكالهما التنظيمية ؟ ماهي الآثار التي أسفر عنها اضعاف السلطة المالية للمؤسسة الدينية الشيعية ، وتراجع المصدر الرئيسي لقوتها الفكرية ، «المدرسة» ، على موقع العلماء الشيعة وقدرتهم على تعبئة الشعب للعمل السياسي في العراق الحديث ؟

مايزعمه هذا الكتاب في الأساس هو أن شيعة العراق تشيعت عموماً في عهد حديث ، وأن عملية التشيُّع كانت نتيجة تطور حدث في الغالب خلال القرن التاسع عشر مع استقرار القسم الأعظم من عشائر العراق العربية الرحل وتوجهها الى ممارسة الزراعة . وكان هذا التطور ايذاناً ببداية عملية لتكوين دولة شيعية في جنوب العراق ، أُجهِضت في أعقاب الاحتلال البريطاني في عام ١٩١٧ وإقامة النظام الملكي العراقي لاحقاً في عام ١٩٢١ . وعلى الرغم من صعوبة رسم الحدود الاقليمية لهذا الكيان السياسي الشيعي المحلي وتحديد مؤسساته فان من الممكن النظر اليه على انه سلسلة متصلة في تطور اتحادات عشائرية متشظية الى دولة وتشخيص المراحل والسمات الرئيسية لهذه العملية[٢] .

وكان ظهور النجف وكربلاء بوصفهما المعقلين للمذهب الشيعي في العراق منذ منتصف القرن الثامن عشر ، مهد الأرض لعملية تكوين الدولة الشيعية هذه . واتسم تطور الكيان السياسي وتوسعه بتوطن العشائر ثم تشيّعهم خلال القرن التاسع عشر . وتسبب الاستقرار في تفتيت الاتحادات العشائرية القديمة ، وتغيير التوازن بين الجماعات الرحل والجماعات المتوطنة ، وزيادة الانتاج الزراعي والتجارة في جنوب العراق . وأسفر قبول العشائر بالمذهب الشيعي عن قيام دين موَحَّد أكثر ونظام قيم أشد تماسكاً يضم السكان الحضريين في مدن العتبات المقدسة وأفراد العشائر في عمق أراضي هذه المدن ، وزاد توطن أفراد العشائر وقبولهم بالمذهب الشيعي على السواء ، من درجة التراتب وسلطة المؤسسة الهرمية الحاكمة ضمن العشائر . وافضيا الى ظهور شخصيات جديدة تؤدي وظائف اقتصادية-اجتماعية ودينية بين العشائر ، وكذلك الى نشوء طبقة من الوجهاء الشيعة ونخبة شيعية كان أعضاؤها يسيطرون على الموارد . وكان ادخال الاسلام الشيعي كدين توحيدي ، ضرورياً للحفاظ على الطبقات المختلفة والجماعات الاثنية والعناصر العشائرية والمدينية التي تشكل المجتمع

الجديد ، وضرورياً كذلك لتوسيع الكيان السياسي الشيعي . والحق ، ان الهيمنة المتزايدة التي مارستها النجف وكربلاء على عمق الأراضي التابعة لهما لم تتحقق من خلال الفتوحات بل من خلال كسب العشائر التي توطنت الى المذهب الشيعي والصلات الوثيقة التي اتسمت بها العلاقات بين المدينتين والعشائر .

وكانت السمة المحدِّدة لهذا الكيان السياسي العشائري تتمثل بالتفاعل الاقتصادي - الاجتماعي والديني الهائل بين العشائر التي تشيعت وبين النجف وكربلاء ، العصب المركزي لذلك الكيان السياسي . وكان هذا التفاعل في جوهره نوعاً من الشراكة السياسية بين المكونات العشائرية والمدينية وكذلك بين الأفراد الاعتياديين ونخبة المجتمع الشيعي ، الذي كان حجمه ينمو باستمرار . وفي حين كان من المنتظر من رجال العشائر الذين قَبِلوا بالمذهب الشيعي ، ان يمتنعوا عن الصراعات الداخلية وان يساهموا بقوات لحماية مدن العتبات المقدسة ، بينما كان سكان المدن يوفرون لافراد العشائر امكانية التسويق وممارسة الدين المنظَّم . وكان يقف على قمة الهرم ، المجتهدون الكبار الذين كانت وظيفتهم الاشراف على هذه الشراكة وممارسة الرقابة على الموارد المتحققة من الضرائب والهبات الدينية . واقتربت عملية تكوين الدولة الشيعية في جنوب العراق من النضج في مرحلة مبكرة من القرن العشرين حين قام مجتهدون قياديون بصياغة نظرية تحدد طبيعة الدولة التي كانت في تصوّرهم ، وأرسوا أسس تمثيلهم في السياسة . ولكن محاولة المجتهدين لاقامة حكومة اسلامية في العراق لم تتحقق ، وأُجهضت عملية تكوين الدولة الشيعية في أعقاب الاحتلال البريطاني ثم اقامة دولة سنية في البلاد .

ويمكن تقدير السمات المميزة لهذه الحالة من تكوين الدولة الشيعية بعقد مقارنة مع ثلاث حالات بارزة أخرى من حالات تكوين دول دينية في الشرق الأوسط وشمال افريقيا خلال الفترة العثمانية المتأخرة ، وهي